الآفة الثامنة عشرة
فوضى الوقت

والآفة الثامنة عشرة التى يبتلى بها كثير من العاملين ، بل لا يكاد يسلم منها أحد إنما هى : « فوضى الوقت » ، ولا بد أن يتخلص منها من ابتلى بها ، وأن يتوقاها ، ويتجنبها من سلمه الله وعافاه منها .

وحتى يكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن أبعاد ومعالم هذه الآفة، فإننا سنتناولها على النحو التالى :

أولا : تعريف فوضى الوقت :

لغة : الفوضى فى اللغة تطلق على معنيين هما :

أ ـ اختلاط الأمور بعضها ببعض، يقال: نعام فوضى: أى مختلط بعضه ببعض، ويقال : أموالهم فوضى بينهم : أى هم شركاء فيها .

ب ـ والتساوى فى الأمر أو الرتبة ، يقال : قوم فوضى : أى متساوون لا رئيس لهم .

قال الأفوه الأودى :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا[1]

وعندى أنه لا تعارض بين المعنيين جميعًا ؛ لأن الأول لازم للآخر ، ومنبثق عنه ، ذلك أن التساوى فى الأمر أو الرتبة يقتضى الاختلاط أو التداخل فى هذا الأمر أو فى هذه الرتبة .

اصطلاحًا : أمَّا فى الاصطلاح فإن فوضى الوقت تعنى خلط الأمور بعضها ببعض، والنظر إليها على أنها بدرجة واحدة من حيث الأهمية والفائدة ، مع عدم التوفيق بين الواجبات والأوقات .

---

(١) انظر : الصحاح فى اللغة والعلوم لأسامة وندیم المرعشليين ص ٨٨٢ ، والمعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ مصر ، ص ٤٨٤ بتصرف يسير .

ثانيًا : مظاهر فوضى الوقت ، ووضع هذه الفوضى فى ميزان الإسلام:

ولفوضى الوقت مظاهر كثيرة تدل عليها ، أهمها :

١ ـ الاشتغال بثانويات ، أو هوامش الأعمال عن أصولها وقلبها .

٢ ـ إعطاء العمل البسيط فوق ما يستحق من الجهد ، والوقت .

٣ ـ تضييع الساعات الطوال بغير عمل بالمرَّة .

٤ ـ تراكم أكثر من عمل فى وقت واحد ، بل فى لحظة واحدة .

وأما عن وضع فوضى الوقت هذه فى ميزان الإسلام، فهى حرام،كما تلمح بذلك النصوص الكثيرة الناطقة بتحسر أقوام على أعمارهم التى ضيعوها بغير عمل يفيد، فيقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) ﴾ [الأحزاب] .

وأنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من تقصير ، فيقول : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون] ، ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾ [المنافقون] ، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ [الأنعام] ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر : ٣٧] .

وإذ يقول ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » (١) ، «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب ما جاء فى الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٨ / ١٠٩ ، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ٤ / ٤٧٧ رقم (٢٣٠٤] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد: باب الحكمة ١٣٩٦/٢ رقم (٤١٧٠)، والدارمى فى: السنن : كتاب الرقاق: باب فى الصحة والفراغ ٧٥٣/٢ رقم (٢٦٠٧)، وأحمد فى : المسند ٢٥٨/١، ٣٤٤، كلهم من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعًا.

وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه »[١] .

ويشرح أو يبين الحق ـ تبارك وتعالى ـ حرمة هذه الفوضى بشكل أدق حين يذكر بنعمة الوقت ، فيقول :

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) ﴾ [النور] ، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) ﴾ [الفرقان] ، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ [القصص] .

ويقول ﷺ لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »[٢] ، « بادروا بالأعمال الصالحة سبعًا : هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا ، أو غنى مطغيًا ، أو مرضا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مجهزًا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر »[٣] .

ثالثًا : أسباب فوضى الوقت :

والأسباب أو البواعث التى توقع فى فوضى الوقت كثيرة ، نذكر منها :

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب فى القيامة ٤/٥٢٩، رقم (٢٤١٧) من حديث أبى برزة الأسلمى ﷺ مرفوعًا به ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرج نحوه من حديث ابن مسعود ، إلا أن فيه السؤال عن خمس بدل أربع ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف فى الحديث من قبل حفظه »، ورواه الطبرانى فى: المعجم الكبير ٢٠/ ٦٠، ٦١ بلفظ: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » ، والبزار فى : المسند رقم (٢٤٣٧) من كشف الأستار، وهو ـ كما قال خلدون الأحدب فى : سوانح وتأملات ص ١٨ : صحيح بشواهده، والدارمى فى : السنن : المقدمة ، باب من كره الشهرة والمعرفة ١/ ١٤٢ رقم (٥٤٣) من حديث أبى برزة الأسلمى ، ورقم (٥٤٤، ٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا به ، وبنحوه .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم فى : المستدرك : كتاب الرقاق : باب نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ٤/ ٣٠٦ من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا، وعقب عليه قائلا: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، وأقره الذهبى على ذلك فى : التلخيص .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد : باب ما جاء فى المبادرة بالعمل ٤/ ٤٧٨ رقم (٢٣٠٦) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبى هريرة إلا من حديث محرز بن هارون . . . » .

١ ـ الأسرة التى لا ترعى حرمة الوقت :

فقد ينشأ الإنسان فى أسرة لا ترعى حرمة الوقت، ولا تعطى له أدنى رعاية أو أهمية، وتكون النتيجة التأثر ، والتأثر الشديد بهذا الجو ، أو بهذا المحيط من الفوضى، وتصبح لازمة من لوازم حياته ، تسير معه إلى القبر إلا أن يتداركه الله برحمة منه وفضل ، ويهيئ له صحبة صادقة طيبة ، تأخذ بيده إلى احترام الوقت وتنظيمه، وتظل تتعهده ، وترعاه حتى يقلع عن هذا الداء.

٢ ـ الصحبة السيئة :

وقد تلقى المقادير بالإنسان فى وسط من الصحبة السيئة ، دأبها وديدنها ضياع الوقت ، أو ملؤه بالتافه الضار ، ويكون هو غير مكتمل الحصانة وحينئذ يتأثر بهم ، ويظهر ذلك أول ما يظهر فى وقته ، فإذا به يهدره ويضيعه فيما لا طائل تحته، ولا فائدة ترجى من ورائه .

٣ ـ عدم احترام ذوى الأسوة والقدوة لأوقاتهم :

وقد يكرم الله المسلم بصحبة طيبة ، إلا أن ذوى التأثير والأسوة والقدوة فى هذه الصحبة مصابون بفوضى الوقت ، فيتأثر بهم ، وخصوصًا إن لم يعمل عقله ، ويرى نفسه مسئولا وحده بين يدى ربه ، وبمرور الزمن تصبح فوضى الوقت خلقًا لازمًا له فى حياته .

٤ ـ عدم تقدير قيمة الوقت :

وقد لا يعرف الإنسان قيمة الوقت ، وأنه رأس ماله على ظهر هذه الأرض ، وأنه إن ضاع ضاعت نفسه ، وإن بقى بقيت نفسه . قد لا يعرف ذلك كله ، فينشأ فى نفسه، وفى سلوكه ما يسمى بفوضى الوقت .

٥ ـ الركون إلى النعمة مع أمن مكر الله :

وقد يمن الله على الإنسان من فراغ ، أو صحبة ، أو شباب ، أو غير ذلك فيطمئن بهذه النعمة ، ويركن إليها ، وينسى أنه يمكن أن تصير إلى زوال فى لحظة ، ويأمن مكر الله ، وتكون العاقبة إهدار الوقت ، وتضييعه فيما لا يجدى ، ولا يفيد ، وتلك هى فوضى الوقت .

٦ ـ الانفراد بالرأى وعدم المشورة :

وقد ينطلق الإنسان يعمل حسبما تسنح له الفرصة ، معتمدا على رأيه دون الرجوع إلى أحد من ذوى الخبرة ، والتجربة ، والسداد ، والرأى ومشاورته فيما يريد ، وتكون العاقبة فوضى الوقت، حيث يشتغل بثانويات الأمور، ويضيع الأصول ، أو الأساس، أو تتراكم عليه الأعمال فيقعد ولا يعمل شيئًا بالمرة .

٧ ـ عدم تقدير المرء لجهده وطاقته :

وقد لا يقدر المرء جهده ، وطاقته ، ويظن أن لديه القدرة على عمل كل شىء ، ويأخذ فى العمل، ويصادف أنه لم ينجز شيئًا، ويصير من أصحاب أنصاف أو أثلاث، أو أرباع الأعمال . كما قيل : الذى يعمل كل شىء لا يعمل شيئًا ، وهذه هى فوضى الوقت .

٨ ـ عدم المتابعة والمحاسبة :

وقد يحرم الإنسان ممن يتابعه ، ويحاسبه على عمله ، وعلى خطواته أولا بأول ، وتكون النتيجة فوضى الوقت حيث يضيع الوقت فى غير عمل بالمرة ، أو فى عمل هامشى لا يسمن ولا يغنى من جوع .

٩ ـ المعصية ، وإهمال النفس من التزكية :

وقد يقع الإنسان فى المعصية ، ولاسيما الصغير منها ، ويهمل التوبة والتخلص منها ، بل يهمل تزكية نفسه التى هى سبب بركة الوقت وامتداده ، أو اتساعه ، وحينئذ يبتلى بفوضى الوقت ، إذ يقول ﷺ فى الحديث : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه »[1] .

والعلماء مختلفون فى تحديد معنى الإنساء على نحو ما ذكر الحافظ ابن القيم فى كتابه الداء والدواء ، إذ يقول :

« وقد اختلف الناس فى هذا الموضع ، فقالت طائفة : نقصان عمر العاصى هو

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب البيوع : باب من أحبَّ البسط فى الرزق ٣/ ٧٣ ، وكتاب الأدب : باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ٨ / ٦، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة : باب صلة الرحم ٤/ ١٩٨٢ رقم (٢٥٥٧) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الزكاة : باب فى صلة الرحم ٢/ ١٣٢، ١٣٣ رقم (١٦٩٣) ، وأحمد فى : المسند ٣/ ١٥٦ ، ٢٤٧، ٢٦٦ ، كلهم من حديث أنس إلا البخارى فى الرواية الثانية ، فإنها من حديث أبى هريرة .

ذهاب بركة عمره ، ومحقها عليه ، وهذا حق ، وهو بعض تأثير المعاصى ، وقالت طائفة : بل تنقصه حقيقة ، كما تنقص الرزق ، فجعل الله سبحانه للبركة فى الرزق أسبابًا كثيرة تكثره ، وتزيده ، وللبركة فى العمر أسبابًا تكثره ، وتزيده .

قالوا : ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب ، كما ينقص بأسباب ، فالأرزاق ، والآجال ، والسعادة ، والشقاوة ، والصحة ، والمرض ، والغنى ، والفقر ، وإن كانت بقضاء الرب ـ عز وجل ـ فهو يقضى ما يشاء بأسباب جعلها لمسبباتها مقتضية له .

وقالت طائفة أخرى : تأثير المعاصى فى محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة هى حياة القلب، ولهذا جعل الله ـ سبحانه ـ الكافر ميتًا غير حى ، كما قال تعالى : ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء﴾ [النحل : ٢١] .

فالحياة فى الحقيقة حياة القلب ، وعمر الإنسان مدة حياته ، فليس عمره إلا أوقات حياته بالله ، فتلك ساعات عمره ، فالبر ، والتقوى ، والطاعة تزيد فى هذه الأوقات التى هى حقيقة عمره ، ولا عمر له سواها .

وبالجملة ، فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصى، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التى يجد غبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر] . فلا يخلو إما أن يكون له مع ذلك تطلع إلى مصالحه الدنيوية ، والأخروية أولا ، فإن لم يكن له تطلع إلى ذلك، فقد ضاع عليه عمره كله، وذهبت حياته باطلا. وإن كان له تطلع إلى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق، وتعسرت عليه أسباب الخير بحسب اشتغاله بأضدادها، وذلك نقصان حقيقى من عمره. وسر المسألة: أن عمر الإنسان مدة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربه والتنعم بحبه، وذكره، وإيثار مرضاته »[١] .

١٠ ـ الغفلة عن واقع الأعداء :

وقد ينسى المرء واقع الأعداء ، وأنهم يعملون بالليل والنهار ، ولا يسمحون لأنفسهم بتضييع لحظة بغير عمل ، وبغير كيد لله ولرسوله ، ولجماعة المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويلتزمون بهدى السماء ، قد ينسى المسلم ذلك، فيهمل الانتفاع بوقته، وحينئذ يصاب بفوضى الوقت .

١١ ـ الغفلة عن عواقب فوضى الوقت :

وقد تغيب عواقب فوضى الوقت الدنيوية والأخروية عن بال المسلم فإذا به يهدر

---

(١) انظر : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم ص ٥٧ ، ولمزيد من البيان فى تحديد معنى الإنساء يراجع : غاية البيان فى شرح مختارات من السنن لكاتب هذه السطور ص ١٩ ـ ٢٣ .

وقته ، ولا ينتفع به ، أو ينتفع به فيما لا جدوى من ورائه ، وحين يأتيه الموت يبكى ندمًا ، ويتمنى التأخير لتدارك ما فات ، وأنى له ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون] .

١٢ ـ الدخول فى العمل بغير تنظيم وتخطيط :

وقد يدخل الإنسان فى العمل مهملا قواعد التنظيم، والتخطيط لواجباته ولطاقاته، بل للواجب الواحد ، وحينئذ يأخذ فى التضييع والتفريط ، وتكون فوضى الوقت .

رابعًا : آثار فوضى الوقت :

ولفوضى الوقت آثار مهلكة ، وعواقب خطيرة ، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى ، ودونك طرفًا من هذه الآثار .

أ ـ على العاملين :

أما عن آثار فوضى الوقت على العاملين فكثيرة ، نذكر منها :

١ ـ ضياع العمر بغير فائدة ، أو بفائدة لا تذكر :

ذلك أن الفوضوى فى وقته ، تمر عليه أوقات كثيرة بغير عمل ، أو بعمل هامشى لا يكاد يذكر ، وتكون النتيجة الأخيرة، والمحصلة النهائية ضياع العمر كله بغير فائدة، أو بفائدة قليلة الجدوى ، ضئيلة النفع ، وهذا هو الغبن الذى نبه إليه رسول الله ﷺ فى قوله : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[١] .

وهو الذى قصد إليه حكيم من الحكماء حين قال : من أمضى يومًا من عمره فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه[٢] .

٢ ـ القلق والاضطراب النفسى :

ذلك أن الفوضوى فى وقته ينسى نفسه من التزكية ، أو يزكيها بما لا يشبعها ولا يشفيها ، بل ربَّما وقع فى المعاصى والسيئات كما شهد بذلك الواقع ، وأشار إليه بعض الحكماء إذ قال: « من الفراغ تكون الصبوة »[٣] ، وتكون النتيجة مرض القلب وموته، وبعبارة أخرى قسوته ، الأمر الذى يؤدى إلى القلق والاضطراب النفسى ، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٨٢ .

(٢، ٣) انظر : فيض القدير للمناوى ٦/ ٢٨٨ .

بذكْرِ اللَّه أَلا بذكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾ [الرعد] ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الانعام] .

٣ ـ الذل والهوان فى الدنيا :

ذلك أن الفوضوى فى وقته إنما هو واقف فى محله ، أو يتحرك حركة بطيئة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فى الوقت الذى لا يكف فيه الباطل ، ولا يفتر عن العمل لحظة واحدةً ، ومثل هذا سيأتى عليه لحظة ، لا يتمكن فيها حتى من التنفس العادى ، فضلا عن الحركة والتأثير فى غيره ، فيقضى حياته ذليلا مهينًا ، كما يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

٤ ـ الحسرة والندامة يوم القيامة :

ذلك أن الفوضوى فى وقته ، يلقى ربه يوم القيامة بغير ما يرضيه وتكون العاقبة الحسرة والندامة ، بل وتمنى العودة إلى الدنيا للتدارك ، والإصلاح كما يقول سبحانه :

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) ﴾ [الزمر]، ﴿ وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى (٢٤) ﴾ [الفجر]، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر : ٣٧]

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأمَّا عن آثار فوضى الوقت على العمل الإسلامى فتتلخص فى :

١ ـ الفرقة والتمزق :

ذلك أن الفوضوى فى وقته يقصر فى حق الآخرين،فلا يرعى الآداب الاجتماعية، وتكون العاقبة النفور والقطيعة ، الأمر الذى يؤدى إلى الفرقة والتمزق ، ثم تمكين العدو من رقابنا واستغلاله لخيرنا ، وثرواتنا .

٢ ـ الحصار والتطويق :

ذلك أن فوضوى الوقت ، إنما يفسح الطريق أمام الباطل لحصار العمل الإسلامى وتطويقه ، بل وتشديد القبضة عليه ، ولاسيما أن هذا الباطل حريص كل الحرص على الانتفاع بوقته وتوظيفه فيما يحقق له أهدافه ، ويوصله إلى غاياته.

٣ ـ طول الطريق ، وكثرة التكاليف :

أو على الأقل تؤدى فوضى الوقت إلى طول الطريق، وكثرة التكاليف نظرًا لتربص الباطل بالعمل الإسلامى، وعدم انتفاع هذا العمل بوقته فى إبطال هذا التربص، وتفادى شرره وأخطاره .

ولقد أشار الإمام المودودى وهو يخاطب الدعاة إلى هذا الأثر والذى قبله بقوله :

« اسمحوا لى أن أقول لكم : إنكم إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة أبرد من تلك العاطفة القلبية التى تجدونها فى قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم ، فإنكم لا بد أن تبوءوا بالفشل الذريع ، بفشل لا تتجرأ بعده أجيالنا القادمة على أن تفكر فى القيام بحركة مثل هذه إلى مدة غير وجيزة من الزمان، عليكم أن تستعرضوا قوتكم القلبية والأخلاقية ، قبل أن تهتموا بالخطوات الكبيرة »[١] .

خامسًا: علاج فوضى الوقت :

وما دمنا قد وقفنا على الأسباب أو البواعث التى أدت إلى فوضى الوقت، فإنه من السهل معرفة طريق العلاج ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ اليقين بأن الوقت هو رأس المال على ظهر هذه الأرض :

بأن يضع المسلم فى حسابه أن وقته هو رأس ماله على ظهر هذه الأرض ، والتفريط فيه ، أو عدم شغله بالنافع المفيد يعنى خسارة الدنيا والآخرة أو خسارة الآخرة على الأقل، وتلك هى الخسارة التى لا خسارة بعدها ، إذ يقول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر] ، فإن ذلك من شأنه أن يحمل المسلم على تنظيم وقته، وملئه بما يعود عليه وعلى أمته بالخير العظيم .

٢ ـ اليقين بضخامة المسئولية غدًا :

وأن يوقن المسلم بضخامة المسئولية غدًا بين يدى الله ـ عز وجل ـ إذ الوقت من بين ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة كما جاء فى الحديث: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة

---

(١) انظر : مجلة الأمل التى تصدرها رابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا الشمالية ، عدد رمضان رقم ١٣١ ص ١١ ـ ١٥ نقلا عن : تذكرة دعاة الإسلام للمودودى ص ٥٧ ـ ٥٩ .

حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أفناه، وعن عمره فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه »[١] .

٣ ـ دوام النظر فى سيرة السلف :

وأن يديم المسلم النظر فى سيرة السلف ، وكيف كان حرصهم على الوقت بل واستغلاله استغلالا صحيحًا حقيقيا ، ولاسيما العلماء والدعاة والمجاهدون ، فقد كان هؤلاء يستغلون أوقاتهم استغلالا يدور بين القراءة ، والسماع ، والإسماع ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والدعاء ، والتوبة ، والاستغفار ، والصلوات ، وسائر أعمال البر والخيرات .

هذا أبو بكر الأنبارى يدخل عليه الطبيب فى مرض موته، فينظر إلى مائه ـ يعنى بوله ـ ويقول له : قد كنت تفعل شيئًا لا يفعله أحد ، ثم يخرج فيقول : ما يجىء منه شىء. ويعود إليه ويسأله: ما الذى كنت تفعل ؟ فيقول له أبو بكر ـ رحمه الله ـ : كنت أعيد فى كل أسبوع عشرة آلاف ورقة[٢] .

وها هى امرأة الحافظ محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهرى ، المحدث المشهور المتوفى ١٢٤ هـ، تشكو من تعلق زوجها بالكتب، وطول معايشته لها فتقول: والله ، إن هذه الكتب أشدُّ علىَّ من ثلاث ضرائر[٣] .

وهذا الشيخ عبد العظيم المنذرى (صاحب كتاب الترغيب والترهيب المتوفى ٦٥٦ هـ) يحكى عن إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادى، فيقول: ولم أر، ولم أسمع أحدًا أكثر اجتهادًا منه فى الاشتغال ، كان دائم الاشتغال فى الليل والنهار ، وقد جاورته فى المدرسة ـ يعنى القاهرة ـ بيتى فوق بيته ، اثنتى عشرة سنة ، فلم أستيقظ فى ليلة من الليالى ، فى ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج فى بيته ، وهو مشتغل بالعلم، وحتى كان فى حال الأكل، والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/ ١٠٢ رقم (١١١٧٧)، والطبرانى فى : الأوسط ٩/ ١٥٥ رقم (٩٤٠٦)، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب البعث : باب ما جاء فى الحساب ١٠/ ٣٤٩ وعقب عليه بقوله: « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه حسين بن الحسن الأشقر وهو ضعيف جدًا وقد وثقه ابن حبان مع أنه يشتم السلف » ، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما به .

(٢) انظر : الوقت عمار أو دمار لجاسم المطوع ١/ ٤٥ نقلا عن وصايا ونصائح لطالب العلم .

(٣) انظر : شذرات الذهب لابن العماد ١/ ٦٣ .

(٤) انظر : الوقت عمار أو دمار لجاسم المطوع ١/ ٥١، ٥٢ نقلا عن بستان العارفين .

وهذا العلامة ابن الجوزى (المتوفى ٥٩٧ هـ) يقول عن نفسه : وإنى أخبر عن حالى، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره ، فكأنى وقعت على كنز ، فلو قلت : إنى قد طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر ، وأنا بعد فى طلب الكتب ، فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم، قدر همهم، وحفظهم، وعاداتهم، وغرائب لا يعرفها من لم يطالع (١) .

وهذا الحافظ ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ يقول : وأعرف من أصابه مرض من صداع، وحمَّى، وكان الكتاب عند رأسه ، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه ، فدخل عليه الطبيب يومًا وهو كذلك ، فقال : إن هذا لا يحلُّ لك ، فإنك تعين على نفسك ، وتكون سببًا لفوات مطلوبك (٢) .

وهذا عبد الرحمن بن تيمية ينقل عن أبيه ، عن جده ، فيقول : كان الجد إذا دخل الخلاء ، يقول لى : اقرأ فى هذا الكتاب ، وارفع صوتك حتى أسمع(٣) .

وهذا أبو عثمان أحد شيوخ البخارى يقول : ما سألنى أحد حاجة إلا قمت له بنفسى ، فإن تمَّ ، وإلا قمت له بمالى ، فإن تمَّ ، وإلا استعنت له بالإخوان ، فإن تمَّ وإلا استعنت له بالسلطان (٤) .

وهذا الليث بن سعد ـ رحمه الله ـ كان يجلس للمسائل ، يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده، كثرت حاجته، أو صغرت(٥).

وهذا الخطيب البغدادى يقول : سمعت على بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوى ، يحكى أن محمد بن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ ـ عن ثلاث وثمانين سنة ـ مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة (٦) .

وهذا الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ يقول عن نفسه : لقد استدعيت فى دار الشبان حتى أقول رأيى فى كتاب : (مستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين) بعد خمسة أيام، ولما لم أكن أستطع التحلل من مواعيد كنت مرتبطًا بها فى خلال الأيام الخمسة، فلم أجد وقتًا أخصصه لقراءة هذا الكتاب إلا فترة ركوبى الترام فى الصباح إلى

---

(١) انظر : الوقت عمار أو دمار لجاسم المطوع ١/ ٥٢ نقلا عن الآداب الشرعية للمقدسى ٢/ ٢٦٧.

(٢، ٣) انظر : روضة المحبين ، ونزهة المشتاقين لابن القيم ص ٧٠ .

(٤) انظر : الوقت عمار أو دمار ١/ ٣٢ نقلا عن الآداب الشرعية للمقدسى .

(٥) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٣١ .

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣، وعنه نقل : خلدون الأحدب فى : سوانح وتأملات ص ٣٠.

مدرستى، وفترة رجوعى منها فى الترام ، قال : فقرأت الكتاب ـ لأنه لم يكن كبيرًا ـ وكنت أضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة ، ولم تمض الأيام الخمسة ، حتى كنت قد استوعبت الكتاب كله [١] .

وهذا المرحوم عمر التلمسانى ، يقول عن نفسه : أقبلت على القراءة الدينية ، فقرأت تفسير الزمخشرى ، وابن كثير ، والقرطبى ، وسيرة ابن هشام ، وغيرها من السير . . . قرأت أسد الغابة ، والطبقات الكبرى ، ونهج البلاغة ، والأمالى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والمخصص لابن سيده ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم من جلده ، إلى جلده [٢] .

وهذا الأستاذ على طنطاوى يقول : لو أحصيت معدل الساعات التى كنت أطالع فيها لزادت على عشر فى اليوم ، لأننى منذ الصغر شبه معتزل ، بعيد عن المجتمع ، فلو جعلت لكل ساعة عشرين صفحة ، أقرأ من الكتب الدسمة نصفها ، ومن الكتب السهلة نصفها ، لكان لى فى كل يوم مائتا صفحة فى اليوم .

فاحسبوا كم صفحة قرأت من يوم تعلمت النظر فى الكتب ، وامتدت يدى إليها سبعين سنة، فى كل سنة اثنا عشر شهرًا، فى كل شهر ثلاثون يومًا، فى كل يوم مائة صفحة ، فإن هالكم الرقم ، فاحسموا منه نصفه فكم يبقى ؟! كنت ولا أزال أقرأ فى كل علم : فى التفسير ، وفى الحديث ، وفى الفقه ، وفى التاريخ ، وفى الأدب : الأدب العربى ، والأدب الفرنسى . وفى العلوم على تنوعها وتعددها بدأت اليوم أقرأ سنة ١٣٣٥هـ ، ونحن اليوم فى سنة ١٤٠٥هـ وأنا أقرأ أكثر ساعات ليلى ونهارى ، فلو قدرت لكل يوم مائة صفحة ـ وأنا أقرأ أضعافها ـ لكان مجموع ما قرأت مليونين ونصف من الصفحات ، وكتبت ما لم يكتب أكثر منه مما أعرف إلا قليلا ، كالأمير شكيب أرسلان ، والأستاذ العقاد ، وأمثالهما ، وإن كان أمثالهما قلة من أصحاب القلم الفيَّاض ، والذى نشر مما كتبتُ يزيد على ثلاث عشرة ألف صفحة ، وما ضاع منى مثله ، أو أكثر منه [٣] .

وهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر يصفه أحد الكتاب بقوله : ولقد تميَّز ابن باديس فى حياته كلها باحترام الوقت والنظام فكان ـ رحمه الله ـ

(١) انظر : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٤٠ .

(٢) انظر : الوقت عمار أو دمار لجاسم المطوع ١/ ٤٩ .

(٣) انظر : الوقت عمار أو دمار لجاسم المطوع ١/ ٥٠ ، ٥١ نقلا عن : سوانح وتأملات فى قيمة الزمن ص ٣٤ .

رجل علم ونظام يحافظ على أوقاته ، فكان برنامجه اليومى ، مما يصعب على الكثير أن يقوم به، حيث يبدأ نهاره من قبيل صلاة الفجر بالمرور على مساكن طلاب الجامع الأخضر ليتأكد من استيقاظهم لأداء صلاة الفجر ، وبعد الصلاة يشرع فى التدريس حتى الشروق ، فيتناول إفطاره ، ويعود إلى التدريس حتى صلاة الظهر ، ثم يعاود التدريس من صلاة العصر حتى ما بعد صلاة العشاء ، وقد بلغت الدروس التى يلقيها فى اليوم الواحد خمسة عشر درسًا (١) .

إن الوقوف على أمثال هذه السير وغيرها يجعل المسلم يراجع نفسه بالنسبة لوقته ، ويجتهد أن يملأه بالنافع المفيد اقتداءً وتأسيًا ، أو على الأقل محاكاةً ، وتشبهًا بذوى الفضل ، والحكمة .

٤ ـ الدعاء والضراعة إلى الله بالبركة فى الوقت :

وأن يلزم المسلم الدعاء والضراعة إلى الله الذى بيده مقاليد السموات والأرض أن يبارك له فى وقته ، وأن يوفقه لملئه بالنافع المفيد ، إذ الدعاء سهام نافذة، ولاسيما إذا وقع فى الأوقات التى ترجى فيها الإجابة كوقت السحر وفى السفر ، وعند الاضطرار ، ونحوها ، ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة والأسوة ، إذ كان من دعائه قوله : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » (٢) .

٥ ـ الزهد فى الدنيا مع الرغبة فى الآخرة :

وأن يزهد المسلم فى الدنيا بأن تكون فى يده لا فى قلبه ، وأن تكون من حلال، وأن يؤدى حق الله فيها ، بل أن يتنازل عنها جميعًا لله إن اقتضت الحال ذلك ، مع الرغبة القوية فى الآخرة ، فإن ذلك من شأنه أن يحمله على التشمير الدائم ، والحرص ألا تمر عليه لحظة بغير طاعة تقربه إلى الله ـ تبارك وتعالى .

---

(١) انظر : عبد الحميد بن باديس للأستاذ مازن صلاح مطبقانى ص ٤٢ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الجهاد : باب فى الابتكار فى السفر ٣/ ٣٥ رقم (٢٦٠٦) من حديث صخر بن وداعة الغامدى ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب التجارات: باب ما يرجى من البركة ٢/ ٧٥٢ رقم (٢٢٣٦) من حديث صخر الغامدى ، ورقم (٢٢٣٧) من حديث أبى هريرة ، ورقم (٢٢٣٨) من حديث ابن عمر ، وإسناده ـ كما فى مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه للبوصيرى ـ ضعيف ، لضعف عبد الرحمن بن أبى بكر الجدعانى، والدارمى فى : السنن : كتاب السير : باب بارك لأمتى فى بكورها ٢/ ٦٦١ رقم (٢٤٣٥) من حديث صخر الغامدى ، وأحمد فى : المسند ١/ ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ من حديث على بن أبى طالب ٣/ ٤١٦، ٤١٧، ٤٣٢، ٤/ ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩١ من حديث صخر الغامدى مرفوعًا .

قيل للإمام الزهرى مرةً : ما الزهد ؟ قال : ليس تشعيث اللمة ، ولا قشف الهيئة ـ أى ليس شعث الرأس ، ولا اغبرار الهيئة ـ ولكنه صرف النفس عن الشهوة [١] .

وقال أحد الزهاد : ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار تأتى عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر ، أو صلاة ، أو قراءة ، أو إحسان ، فقال له رجل : إنى أكثر البكاء ، فقال : إنك إن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكى وأنت مدل ـ أى منبسط بعملك ـ وإن المدلَّ لا يصعد عمله فوق رأسه .

فقال: أوصنى، فقال: دع الدنيا لأهلها. وكن فى الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيبًا، وإن أطعمت أطعمت طيبًا، وإن سقطت على شىء لم تكسره، ولم تخدشه[٢] .

٦ ـ التخلص من الصحبة السيئة مع الارتماء فى أحضان الصحبة الطيبة :

وأن يحرص المسلم على تجنب الصحبة السيئة مع الإلقاء بالنفس بين أحضان الصحبة الطيبة ، فإن هذا من شأنه أن يحفظ على المسلم أوقاته ، وأن تنفق فى النافع المفيد ، وفى الخبر :

« من يرد الله به خيرًا يهده خليلا صالحًا، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه»[٣]، «ألا أنبئكم بخير الناس ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من تذكركم رؤيته بالله عز وجل » [٤] ، « اصحب من يدلك على الله حاله ، ومن يعرفك بالله مقاله » [٥] .

٧ ـ تنظيم الأسرة للوقت مع شغله بالنافع المفيد :

وأن تحرص الأسرة على تنظيم أوقات المنتمين إليها مع شغل هذه الأوقات بالنافع المفيد ، فوقت للراحة والنوم ، ووقت للطعام والشراب ، ووقت لتحسين وتقوية الصلة بالله عز وجل ، ووقت للترفيه عن النفس ، ووقت لرعاية الآداب الاجتماعية ، وهكذا دواليك ، فإن هذا التنظيم مع الشغل من شأنه أن يبنى فى النفس الحرص على الوقت، وعدم تضييع لحظة منه بغير ثمرة أو عمل .

---

(١) انظر : تذكرة الدعاة للأستاذ البهى الخولى ص ١٧٤ ، وعنه نقل الشيخ جاسم المطوع فى : الوقت عمار أو دمار ١/ ٧٧ .

(٢) انظر : الفوائد لابن القيم ص ١١٨ ، وعنه نقل الشيخ جاسم المطوع فى : الوقت عمار أو دمار ١/ ٧٦، ٧٧ .

(٣) الأثر سبق تخريجه فى الجزء الأول ، آفة : « العزلة » .

(٤) الحديث أخرجه البيهقى فى : شعب الإيمان : باب فى مباعدة الكفار والمفسدين ٧/ ٥٧ رقم (٩٤٤٦) من حديث عبد الله بن عباس .

(٥) لم أهتد إلى تخريجه .

٨ ـ الحرص على المشورة وعدم الانفراد بالرأى :

وأن يحرص المسلم ألا يبرم أمرًا دون أخذ الرأى والمشورة ، فإن ذلك من شأنه أن يدل المسلم على النافع المفيد ، بل وعلى الأولويات والمهمات ، فلا تضيع منه لحظة بغير عمل نافع ، أو ثمرة حلوة .

٩ ـ معرفة المرء قدر نفسه :

وأن يكون المسلم عارفًا قدر نفسه ، مدركًا حدود جهده ، فلا يزعم لنفسه ما ليس من شأنها ، ولا يدخل فيما لا يجيد ، إذ أن هذا من شأنه أن ينظم الوقت ، وأن يشغله بالنافع المفيد الذى هو فى حدود الطاقة والوسع .

١٠ ـ الاحتراز من المعاصى مع الإكثار من الطاعات :

وأن يحترز المسلم من المعاصى والسيئات ، وإن وقع فى شىء منه فليبادر بالتوبة والإقلاع، مع الإكثار من الطاعات، فإن ذلك يكون سببًا فى بركة الوقت وسعة الرزق، مصداقا لقوله ﷺ : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، أو ينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه » (١) .

١١ ـ احترام ذوى الأسوة والقدوة لأوقاتهم مع شغلها بالنافع المفيد :

وأن يحرص ذوو الأسوة والقدوة على تنظيم أوقاتهم، مع شغلها بالنافع المفيد، واضعين فى حسابهم أن الناس يصنعون كما يصنعون فى الغالب دون أن يعملوا فكرهم، ودون أن يسألوا : هل هذا موافق للهدى الربانى أو غير موافق . وأنهم إن أهملوا هذا الجانب فقد سنوا لغيرهم سنة سيئة عليهم وزرها ، ووزر العاملين بها إلى يوم القيامة ، وإن اهتموا بهذا الجانب فقد سنوا لغيرهم سنة حسنة لهم ثوابها ، وثواب العاملين بها إلى يوم القيامة .

١٢ ـ الخوف من الله مع عدم الركون إلى النعمة :

وأن يصحب المسلم معه فى سفره إلى ربِّه خلق الخوف منه وعدم أمن مكره أو عذابه، مع عدم الركون إلى النعمة، فإن ذلك إن توفر للمسلم صار سوطًا يلهب ظهره، ويحمله على تنظيم وقته، وشغله بالنافع المفيد، ويصدق ذلك ما أثر عن السلف.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٨٥ .

وحسبنا هنا : ما جاء عن سيدنا عمر بن عبد العزيز ، إذ تقول عنه زوجه فاطمة بنت عبد الملك :

ما رأيت أحدًا أكثر صلاةً، ولا صيامًا منه، ولا أحدًا أشد فرقًا من ربه منه، كان يصلى العشاء ، ثم يجلس يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه ، فلا يزال يبكى حتى تغلبه عيناه ، ولقد كان معى فى الفراش ، فيذكر الشىء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور من الماء ، ويجلس يبكى ، فأطرح عليه اللحاف [١] .

وحسبنا هنا كذلك ما جاء عن الإمام أبى حنيفة ـ النعمان بن ثابت ـ إذ يقول عنه صاحبه يزيد بن الكميت :

كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة فى العشاء الآخرة سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَت ﴾ وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة ، وخرج الناس ، نظرت إلى أبى حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بى ، فلما خرجت تركت القنديل ، ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر ، وهو قائم ، وقد أخذ بلحية نفسه ، وهو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيرًا ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شرًا ، أجر النعمان عبدك من النار ، ومما يقرب منها من السوء ، وأدخله فى سعة رحمتك ، قال : فأذنت ، وإذا بالقنديل يزهر ، وهو قائم ، فلما دخلت قال لى : تريد أن تأخذ القنديل ؟ قلت : قد أذنت لصلاة الغداة ، فقال : اكتم ما رأيت ، وركع ركعتين ، وجلس حتى أقمت الصلاة ، وصلى معنا [٢] .

١٣ ـ الحرص على التنظيم والتخطيط لأى عمل من الأعمال :

وأن يحرص المسلم ألا يدخل فى أى عمل من الأعمال وإن كان بسيطًا إلا بالتنظيم والتخطيط ، فإن هذا من شأنه استغلال الوقت أحسن استغلال مع توفير الجهد ، والتقليل من التكاليف والتضحيات ، وسيرة النبى ﷺ غاصة بالنماذج الناطقة بحرصه ﷺ على التنظيم والتخطيط ولو لأبسط الأعمال .

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٠٤، وعنه نقل الشيخ جاسم المطوع فى : الوقت عمار أو دمار ١/ ٨٠ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٤١٢ وعنه نقل الشيخ جاسم المطوع فى : الوقت عمار أو دمار ١/ ٨٠، ٨١ .

فمثلا ما كان ينام فى سفر أو حضر إلا ويكلف من يكلأ الوقت، ويراقبه، وما كان يأكل أو يشرب إلا بنظام أو ترتيب خاص ، وما كان يغزو أو يسالم إلا وفق تنظيم وتخطيط ، وهكذا سائر حياته وأعماله ﷺ .

١٤ ـ البصيرة بواقع الأعداء ، والعواقب المترتبة على فوضى الوقت:

وأن يكون المسلم بصيرًا بواقع الأعداء ، وأنهم لا يضيعون لحظة بغير عمل ، وأن إهدار وقته أو عدم استغلاله الاستغلال الصحيح يعنى تمكن هؤلاء الأعداء من رقاب الأمَّة ، فضلا عن غضب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة على النحو الذى قدمنا .

١٥ ـ الحرص على لزوم الجماعة ، ونبذ العزلة أو التفرد :

وأن يظل المسلم ملازمًا الجماعة نابذًا وراء ظهره العزلة أو التفرد ، فإن الجماعة إن كانت مدركة لمهمتها، بصيرة بأمرها، نهضت بواجبها نحو هذا المسلم ، فتنظم له وقته، وتملؤه بالنافع المفيد ، بل وتتابعه وتحاسبه على التفريط أو التضييع ، مقتفية فى ذلك هدى رسول الله ﷺ .

إذ كان من هديه ﷺ أن يقوم من الليل ثلثه ، ثم ينام سدسه ، ثم يصلى الصبح، ويظل يذكر ربه حتى تطلع الشمس وترتفع قدر رمح ، فيصلى الضحى ، ويتناول طعامه، وينصرف إلى واجباته نحو المسلمين ، ومنهم أهله وأحفاده ، ثم يصلى الظهر، وينام القيلولة ، ويصلى العصر ويظل فى حاجة المسلمين إلى العشاء، وفى هذه الأثناء يتناول عشاءه إن كانت به حاجة إلى هذا العشاء ، ثم يصلى العشاء ، وينام مبكرًا ، أو يسمر بعض الوقت فى مصالح المسلمين إن قصر النهار عن تغطية هذه المصالح ، ثم ينام ، ولم يكن ينسى حق بدنه من الرياضة كالمشى، أو العدو، أو المصارعة ، أو ركوب الخيل والرمى ، فتحاول الجماعة تطبيق هذا الهدى مع كل مسلم ، وتتولى متابعته ومحاسبته ، فتحميه بذلك من التفريط والتضييع .

١٦ ـ التأكيد على الموعد بالنسبة للزائرين مع لباقة التخلص من الفضوليين أو شغلهم بالنافع المفيد :

ولا بد من أن يعود المسلم الزائرين على ألا تتم زيارة بغير موعد حفاظًا على الوقت،وتوفيرًا للجهد، وأن يكون لبقًا فى التخلص من الفضوليين، كأن يصنع معهم ما كان يصنعه بعض السلف إذ كان يأمر جاريته أن تدورّ دائرةً، وأن تضع أصبعها فى وسط هذه الدائرة ، وتقول : سيدى ليس هنا ، أى ليس فى داخل الدائرة ، وهى

صادقة ، أو ما يصنعه أحد العلماء ، الدعاة المعاصرين بأن يضع عمامته وجبته على مشجب خلف الباب ، فإن جاء فضولى ورمقه من ثقب بالباب، لبس عمامته ، وجبته إيهامًا له بأنه خارج لواجب أو لمهمة ، وفعلا يعتذر له ، ويخرج قليلا ، ويعود ، فإن أبى هذا الفضولى إلا الدخول عمل على شغله بالنافع المفيد ، وعلى نحو ما كان يصنع ابن الجوزى ، إذ كان يقصر الكلام معهم استعجالا للفراق ، أو يعدُّ أعمالا تعنيه ، ولا يمنع إنجازها من المحادثة والكلام مثل تقطيع الأوراق التى يكتب فيها وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر ونحوه ، ودونك تجربته فى ذلك بنصها ، إذ يقول :

« لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معى فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة ويسمون ذلك التردد خدمة،ويطلبون الجلوس،ويجرون فيه أحاديث الناس، وما لا يعنى ، ويتخلله غيبة ، وهذا شيء يفعله فى زماننا كثير من الناس ، وربما طلبه المزور ، وتشوق إليه ، واستوحش من الوحدة ، خصوصًا فى أيام التهانى ، والأعياد ، فتراهم يمشى بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان ، فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء ، والواجب انتهازه بفعل الخير ، كرهت ذلك ، وبقيت معهم بين أمرين : إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت أدافع اللقاء جهدى ، فإذا غلبت قصرت فى الكلام لأتعجل الفراق .

ثم أعددت أعمالا لا تمنع من المحادثة، لأوقات لقائهم، لئلا يمضى الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد ـ أى الورق ـ وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لابد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتى» [١] .

(١)انظر : سوانح وتأملات فى قيمة الزمن ص ٣٦، ٣٧ نقلا عن صيد الخاطر .